عبد الجبار وهبي
رائد الصحافة الشيوعية

طريق الشعب

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة

رئيس التحرير

العدد (5940) السنة الثانية والعشرون

الخميس (10) تموز 2025

الشهيد عبد الجبار وهبي (أبو سعيد) 1920 - 1963

محمد علي الشبيبي

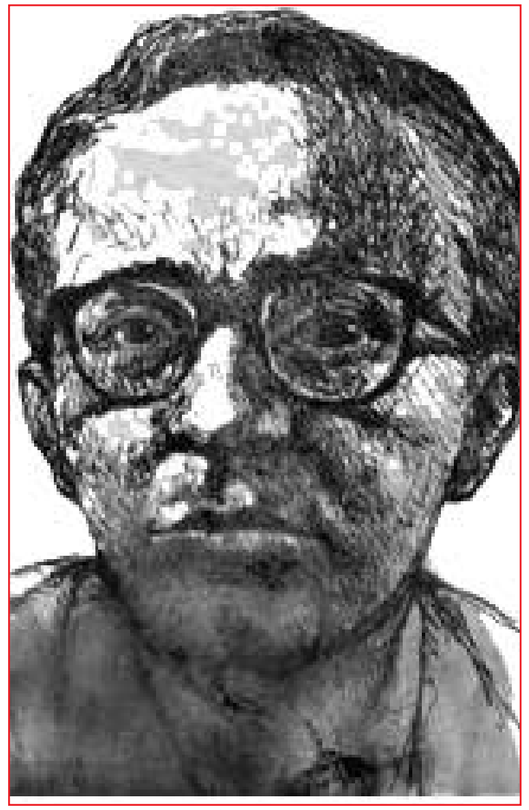

لا أخفي على القارئ الكريم تخوفي وتهيبي من قدرة الكتابة عن الشهيد عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) وقد أفضل في تقديمه للقارئ بما يتناسب مع نشاطه الوطني والصحفي وتكللهما بصموده الاسطوري في التعذيب ومن ثم شهادته اسوة برفاقه الشهداء من قادة الحزب الشيوعي العراقي الذين سبقوه أو ساروا على خطاه في الشهادة. لذلك ارجو من القارئ الكريم ان يستميحني عذرا إذا ما قصرت في تغطية بعض من جوانب حياة الشهيد ونشاطه، فهذه المهمة الجليلة أجدر أن يتبناها رفاقه ومن عاش بينهم وعرفوا الشهيد عن قرب.

ولد الشهيد في البصرة- محلة المشراق- عام ١٩٢٠، نشأ وترعرع فيها ودرس في مدارسها. أنهى دراسته الثانوية بتفوق ورشحته وزارة المعارف في بعثة للدراسة الى انكلترا، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون ذلك. فقرر السفر إلى بيروت ليكمل دراسته الجامعية في الجامعة الامريكية. تخرج من الجامعة الامريكية متخصصا في الفيزياء ومارس تدريسها في المدارس الثانوية. ولشدة ولعه ببعض الجوانب الفلسفية فبادر لدراستها فاهتم بدراسة فلسفة سقراط. وكان لابد لدراسته للفيزياء والفلسفة أن تعمقا طريقته في التفكير والتحليل للواقع الاجتماعي والسياسي الذي كان شعبنا يعاني منه فترة النظام الملكي. فعلم الفيزياء هو العلم الذي يجيب على لماذا وكيف ومتى لدراسة الظواهر الكونية، فتكون الاجابة دائما عليها علمية ومنطقية، وهذا ما ساعده على البحث عن أسباب ومعاناة شعبنا وما هي الحلول الضرورية لمعالجة تلك المشاكل. إن تعشيق الفيزياء ومنطقها وتحليلاتها العلمية مع الاسلوب الفلسفي في التفكير(١) لتفسير الظواهر الاجتماعية في مختلف المجالات، إضافة لما عايشه الشهيد من مآسي شعبنا في ظل النظام الملكي الذي كبل شعبنا بمعاهدات غير متكافئة استرقاقية، ومن هجوم بشع على المناضلين المطالبين بالحرية والتحرر والاستقلال من قبل النظام الملكي الذي كللها بجريمة إعدام قادة الحزب الشيوعي العراقي وما أعقب ذلك من هجوم على القوى الوطنية.... كل هذا أحدث انعطافا جذريا في تفكير الشهيد الخالد فالتحق بصفوف الحزب الشيوعي العراقي، وحدد موقفه بوضوح وجرأة وشجاعة، أثبتت الأيام صلابته وقوة قناعته من خلال صموده في التعذيب الذي مارسه البعثيون خلال حكمهم الدموي بعد انقلابهم في ٨ شباط ١٩٦٣ فوهب حياته دون تردد من أجل قضيته المقدسة.

بعد تخرجه من الجامعة الامريكية عام ١٩٤٣ عاد الى الوطن، فمارس تدريس الفيزياء في اعدادية بعقوبة ثم استاذا في كلية الملك فيصل حتى اغلاقها عام ١٩٤٨ بسبب انتماء الكثير من طلبتها للحزب الشيوعي وللقوى المناهضة للنظام الملكي إضافة الى مساهمات طلبتها النشيطة في وثبة ١٩٤٨.

وبدأ نشاطه السياسي غير هيابا حال عودته للعراق. فعمل في اواسط الاربعينات -١٩٤٦- في صفوف "حزب الشعب" الذي كان يرأسه عزيز شريف، وكانت إلى جانبه ابنة عمه -زوجته ورفيقته- في النضال المحامية الراحلة نظيمة وهبي. ثم انتمى للحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٤٨ وكان حينها مدرسا في ثانوية الأعظمية. ساهم بنشاط في الحياة السياسية والاجتماعية، فنشط في حركة السلم العراقية. وقد ذكر الدكتور فاروق برتو في مقالة له عن بدايات حركة السلم العراقية وتشكيل أول لجنة تحضيرية لأنصار السلام في تموز ١٩٥٠ برئاسة محمد مهدي الجواهري وكان باكورة نشاط اللجنة إصدار بيان إلى الشعب العراقي نشر في الصحف بتوقيع عدد من رجال الفكر والشخصيات الاجتماعية المعرفة، يدعو البيان إلى تأييد نداء ستوكهولم وإلى مساندة الدعوة لنشر السلام العالمي ومقاومة أخطار الحرب. وكان من بين الموقعين على هذا البيان محمد مهدي الجواهري وعبد الوهاب محمود (نقيب المحامين في العراق) والمحامي توفيق منير والشاعر بدر شاكر السياب والفنان يوسف العاني والشاعر محمد صالح بحر العلوم والمحامي عامر عبدالله والدكتورة خالدة القيسي والدكتور عبدالله إسماعيل البستاني، وكان أيضا من ضمن الموقعين الشهيد عبد الجبار وهبي.

كما ساهم في عمل ونشاط المنظمات المهنية والديمقراطية، حتى انه انتدب لحضور مهرجان الشباب والطلاب العالمي في وارشو (تموز ١٩٥٥) وكان برفقته كريمته نادية (الفنانة أنوار عبد الوهاب) مع شقيقها سعد.

ولم يسلم الشهيد من الاجهزة القمعية فأصدر المجلس العرفي -١٩٥٢- حكما غيابيا عليه بالسجن مدة ١٥ عاما، وذلك لنشاطه في حركة السلم والتضامن ولإصداره كتابا بعنوان (السلام العالمي)، إضافة الى دوره في انتفاضة عام ١٩٥٢. ولم يثنيه هذا الحكم الجائر عن مواصلة النضال، فواصل الشهيد نشاطه السياسي والحزبي متخفيا عن أعين التحقيقات الجنائية التي كانت الرقيب والسيف المسلط على القوى الوطنية أيام العهد الملكي. ومع اشتداد الحملة المسلطة على الحزب وجماهيره قرر حينها - عام ١٩٥٣- مغادرته الوطن سرا إلى سورية بجواز سفر يحمل اسم (الحاج محسن عبد) مصطحبا معه ابنته نادية وابنه سعد، تاركا زوجته المناضلة نظيمة وهبي تقضي ما تبقى من محكوميتها في سجن النساء في بغداد، بسبب إصدار كراس "أغاني السلم والحرية"(٢)!. غادر وهو يحمل في داخله هموم الشعب العراقي، ومعاناة مناضليه ورفاقه الشيوعيين واليساريين وهم يقبعون في زنزانات النظام الملكي، ويتعرضون للمجازر والتصفيات والتنكيل والإهانات. غادر وأصوات رفاقه في السجن من خلال مكبراتهم البسيطة والمصنوعة من الكارتون وهم يهتفون بحياة الشعب والحزب ويناشدون القوى الخيرة في العالم لإنقاذهم من مجازر وحشية يعد لها النظام الملكي وقد نفذها فعلا، وواجهوا هذه المجازر غير آبهين للرصاص الموجه لصدورهم في سجن بغداد وسجن الكوت أو في تظاهرات الشعب ضد المعاهدات الاسترقاقية التي خطط لها الانكليز مع عميلهم (الباشا نوري السعيد). نعم أصوات رفاقه تناديه لينشر قصة نضالهم وجرائم النظام الدموية بحقهم وإيصالها للرأي العام العراقي والعربي والعالمي. فانكب الشهيد في سورية ليصور باسلوبه المتميز مأساة السجناء الشيوعيين في سجون النظام الملكي ويفضح من خلال ما يكتبه أساليب النظام البربرية في مكافحة الفكر الوطني، فكتب كتابه (من أعماق السجون في العراق)، وهو يصور بدقة الأحداث المأساوية التي حدثت في سجون النظام الملكي وبإشراف وأوامر (الباشا نوري السعيد).

واصل الشهيد نشاطه الفكري والإعلامي في الصحافة السورية واللبنانية، وكان أهم ما كتب في تلك السنوات كتابه (من أعماق السجون في العراق) الذي طبعه باسم مستعار (محمد راشد) في حزيران عام ١٩٥٥، وللأسف كان نشر الكتاب خلال تلك السنوات محدودا بسبب الظروف التي تعاني منها دول المنطقة فجميعها تقريبا كانت تعاني من قهر الانظمة الاستبدادية والتابعة وكانت حرية النشر والتوزيع محدودة. فقرر توزيع كتابه خلال مشاركته في مهرجان الشباب والطلبة المنعقد في وارشو عام ١٩٥٥/ تموز، وبذل جهودا لترجمته باللغة الانكليزية لإطلاع الوفود الاجنبية المشاركة في المهرجان على انتهاكات النظام الملكي لحقوق الانسان والواقع المر الذي يعيشه شعبنا.

الشهيد عبد الجبار وهبي ورفاقه الميامين

أمير أمين

في أواسط شباط من كل عام وبالذات في يوم ١٤ منه، يحتفل الشيوعيون العراقيون واصدقاؤهم بذكرى استشهاد مؤسس الحزب الشهيد يوسف سلمان فهد ورفاقه عضوي المكتب السياسي صارم وحازم يومي ١٤ و١٥ شباط عام ١٩٤٩، حيث تقام الفعاليات بهذه المناسبة في جميع مدن العراق وفي بلدان العالم وخاصة التي يتواجد فيها العراقيون بكثرة مستذكرين شهداء الحزب جميعا من خلال تعليق صور عدد منهم على جدران قاعات الاحتفالات أو الحديث عنهم او ترديد الشعارات والأغاني الثورية التي تمجد ملاحمهم النضالية والأيام والسنين التي ارتقوا فيها شهداء في سبيل مصالح شعبهم العراقي، وهنا لابد من أن نتذكر نخبة بارة من شهداء حزبنا القياديين وهم جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي وعبد الجبار وهبي الذين ما أن ارتقى قائد حزبنا الشهيد سلام عادل شهيداً ومعه نخبة بارة من قياديي الحزب شهداء بأيادي الحرس القومي البعثيين الملطخة بالدماء، إلاّ أن يقوموا بتكوين نواة قيادية بديلة من أجل لملمة وتضميد جراح الحزب وإيجاد صلات مع رفاقه من الذين انقطعت صلاتهم التنظيمية بسبب عمق الضربة القاتلة التي وجهها البعثيون للتنظيم الشيوعي في كافة مدن العراق ودون محاكمة لأحد والتي راح ضحيتها أكثر من خمسة آلاف شيوعي وصديق للحزب من بنات وأبناء الشعب العراقي..

وقد بقي هذا المركز القيادي يعمل بلا كلل وبنشاط بارز لحين إلقاء القبض على الرفاق الثلاثة بعد حركة الشهيد حسن سريع في الثالث من تموز عام ١٩٦٣ بأربعة أيام اي في يوم ٧ تموز في دار والد الدكتور عطا الخطيب ثم اعدامهم في يوم ١٩ تموز بعد موجات من التعذيب الجسدي والنفسي واستخدام وسائل لا تخطر على البال. يقول أحد الشهود إنني زرت عام ١٩٦٣ قصر النهاية وفوجئت بالصحفي عبد الجبار وهبي ممدداً على الأرض وكان على وشك الموت ويطلب الماء، فكان المجرم خالد طبرة يرد عليه قائلاً.. ها واد تريد مي.. لكنه لم يعطيه ولو قطرة! وكان شاهد آخر يقول، كنت معتقلاً في قصر النهاية فرأيت عبد الجبار وهبي أبو سعيد منشور الرجل من تحت الركبة بألة نشر خاصة! ثم يقول وكان إلى جانبه شخص آخر لديه يد واحدة كان معلقاً منها.. طبعاً كان هذا هو القائد الشيوعي الباسل محمد صالح العبلي، بعد جولات من التعذيب وتقطيع أوصال الرفاق وإطلاق النار على الشهيد محمد صالح العبلي بعد وضعه بحفرة من قبل المجرم المقبور سعدون شاكر والطلب منه التعاون معهم، لكنه رفض بشجاعة وبصق عليهم وكان يسيهم مما حدى بالمجرم سعدون أن يطلق عليه النار داخل الحفرة وينهي حياته كما تمت نهاية حياة جمال الحيدري وعبد الجبار وهبي بعد تقطيع أوصالهم من خلال التعذيب والضرب المبرح وبكافة الوسائل، لكن البعثيين حاولوا إيهام ابناء الشعب العراقي بأنهم أعدموا ثلاثة عراقيين خونة وعملاء.!! هكذا ادعوا من خلال بيان الحاكم العسكري رشيد مصلح، وهذا نصه: إعدام الحيدري والعبلي وعبد الجبار وهبي.. أصدر الحاكم العسكري العام البيان التالي.. لقد تم إلقاء القبض على كل من المجرمين جمال الحيدري وعبد الجبار وهبي ومحمد صالح العبلي من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي العميل وقد تمت محاكمتهم أمام المحكمة العسكرية وحكمت المحكمة المذكورة بإعدام المجرمين المذكورين شنقاً حتى الموت وتم تنفيذ العقوبة بحقهم صباح هذا اليوم الموافق ٢١ تموز ١٩٦٣ وليكن مصير هؤلاء الخونة عبرة لكل من يخون تربة وطنه ويخرج على مبادئ أمنه السامية ويرتكب الجرائم بحق أبناء هذا الشعب النبيل!! الزعيم رشيد المصلح الحاكم العسكري العام في ٢٢ تموز عام ١٩٦٣.

طبعاً انتهى هذا البيان وهو مسخرة بكل معنى الكلمة من بدايته إلى نهايته، وبعد سنين أعدم هذا الزعيم التكريتي في شهر يناير عام ١٩٧٠ من قبل رفاقه بتهم شتى. الشهيد أبو سعيد ولد في مدينة البصرة في محلة المشراق عام ١٩٢٠ ودرس الابتدائية والثانوية في مدينته ثم أكمل الجامعة في بيروت بالجامعة الأمريكية المعروفة وتخصص في مادة الفيزياء ولأن له ولعا بالفلسفة فقد درسها واهتم بدراسة فلسفة سقراط، وقبل أن يلتحق بالحزب الشيوعي العراقي بدأ نشاطه السياسي بالانضمام إلى حزب الشعب الذي كان برئاسة السياسي عزيز شريف وكانت معه في هذا الحزب ابنة عمه وهي زوجته المحامية نظيمة وهبي، ولما كان في عام ١٩٤٨ مدرسا في ثانوية الأعظمية ببغداد انتمى لصفوف الحزب الشيوعي العراقي بالإضافة إلى نضاله في حركة السلم العراقية، وساهم أيضا في عمل ونشاط المنظمات المهنية والديمقراطية واشترك في مهرجان الشبيبة والطلبة العالمي المنعقد في العاصمة البولونية وارشو عام ١٩٥٥ واصطحب معه ابنه سعيد وابنته نادية إلى المهرجان وهي الفنانة انوار عبد الوهاب، وحيث تعرض لمضايقات كبيرة فقرر الهروب عام ١٩٥٣ إلى سوريا مع أولاده بينما بقيت زوجته نظيمة تقبع في السجون الملكية أي في سجن النساء بسبب اصدارها كراس أغاني السلم والحرية ولكي تستكمل محكوميتها.

وعاد الشهيد أبو سعيد فورا إلى العراق بعد سماعه خبر ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، ولما أجيزت صحيفة الشيوعيين اتحاد الشعب صار يعمل فيها بنشاط بارز وأصبح في هيئة التحرير وكان يكتب عمودا بعنوان كلمة اليوم في الصفحة الأخيرة وصار جموع العراقيين تترقب الجريدة وتبدأ بقراءة عموده الصحفي والذي امتاز بأسلوبه الشعبي البسيط وهو يشخص السلبيات ويطرح معالجاتها ولكنه للأسف وفي سنوات الثورة لم يسلم من الرصد والملاحقة والسجون التي زج بها لكنه خرج أواخر عام ١٩٦١ بسبب الضغط الجماهيري، علماً ان صحيفة اتحاد الشعب تم غلقها عام ١٩٦٠ في آذار واعتقال رئيس تحريرها عبد القادر البستاني. ولما نجح البعثيون في انقلابهم المشؤوم في ٨ شباط عام ١٩٦٣ صاروا يترصدون كل شيوعي وخاصة الكوادر المتقدمة من القيادة وغيرها مما حدا بعدد محدود من الرفاق بممارسة العمل السري الشاق هو والحيدري والعبلي معتمدين على الحاضنة الشعبية وقد استطاعوا من تضميد جراح الحزب وربط الصلات المنقطعة من تنظيمات الحزب في بغداد ومدن العراق كافة لكنهم للأسف وقعوا في مصيدة البعثيين التي نشطت بقوة بعد حركة الشهيد حسن سريع فجرى القبض عليهم وتعذيبهم وقتلهم.

وأخيراً لابد من القول نقلاً عن معارف الشهيد ابو سعيد الذي ذكر أنه كان في منتهى الهدام انيقا دون مبالغة لا تسمع أصوات خطواته لكياستها، كان قصير القامة نحيف البدن ذا رأس كبير مثلث الحجم نسبيا تملأ وجهه نظارات كبيرة الحجم، كان استاذا محترما جدا من قبل طلابه وحينما يدخل الصف كأنه ملاك ذو سطوة ساحرة.

المجد للشهيد عبد الجبار وهبي والمجد لرفيقيه الحيدري والعبلي وكل الشهداء الأماجد.

والعار للمجرمين أينما كانوا.

مع الشهيد الخالد أبو سعيد

وكتابه "من أعماق السجون العراقية"

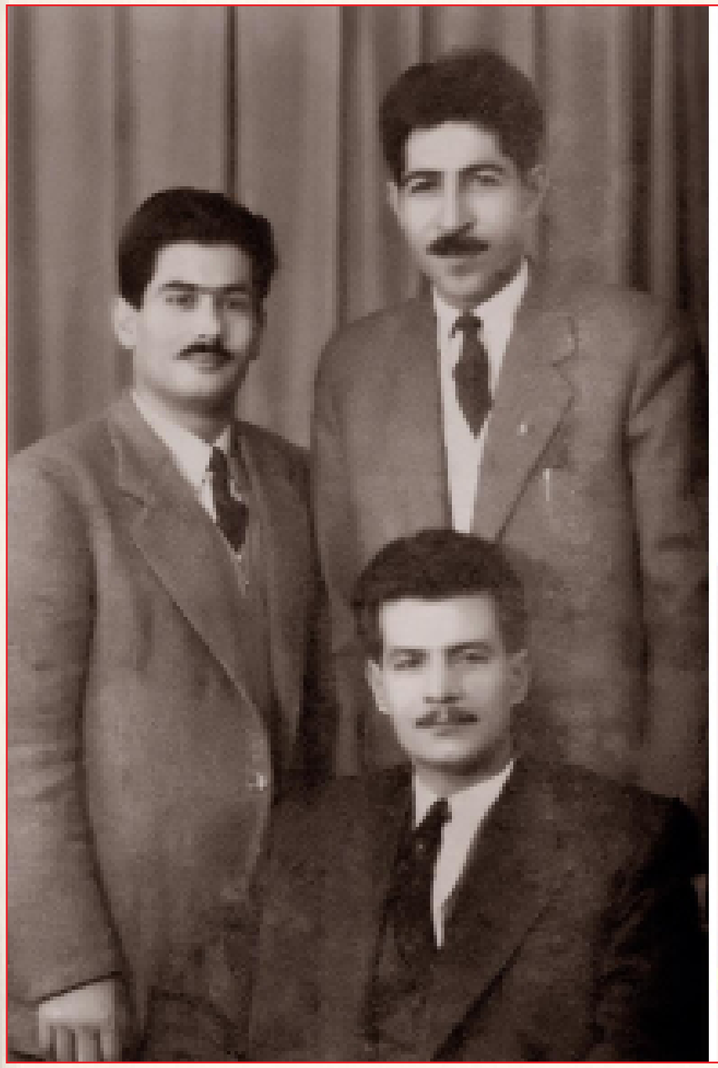

جواد وادي

حين كنت في نهاية العقد الأول من عمري وتحديدا عام ١٩٦٠/١٩٦١، كنت اسكن مع عائلتي المسحوقة في صرائف العاصمة بغداد في المجزرة (الميزرة) وكنا نسكن في بيت طيني بسيط للغاية، حيث كنا قبلها نسكن صرائف العاصمة "خلف السدة"، وكان يسكن معنا معلمي الأول في الوطنية رغم يفاعتي صديق العائلة عمي "بشكو" وكان يكتري غرفة صغيرة ضمن الدار، وكنت رفيقا دائما له، لم اكن اعرف بعد ما يجري من احداث، فكان يكلفني بشراء اتحاد الشعب، ويشرع بقراءتها وكنت اتابع ما يقرأ فيفتتح قراءته بعمود أبو سعيد ولشدة تعلقه بهذا العمود كان يشركني معه لنتم القراءة ونحن منشرحين، لما يتعرض له الشهيد من شواهد وحالات عراقية بأسلوب شيق. وهكذا تواصلت معه في المتابعة، حتى حدث الانقلاب الفاشي ١٩٦٣، وحين القي القبض على الشهيد أبو سعيد وتوصل عمي بشكو بخبر فاجعة تصفيته بطريقة بشعة، وقفت على حزنه الشديد، فكان يبكي بحرقة وهو يخبرني بتصفية عبد الجبار وهبي، منذ ذلك العهد حتى اللحظة وانا احمل في وجداني حبا طاغيا لتلك القامة المناضلة، سيما بعد ان انخرطت في صفوف الحركة الوطنية الباسلة، وطليعتها (الحزب الشيوعي العراقي المكافح)، وظل خزين عشقي لابي سعيد الخالد لا حدود له، حتى كتبت نصا شعريا له ضمن تأبين سلسة من شهداء الحزب الأبرار، يجده القارئ الكريم في اسفل هذه القراءة.

يتصدر الكتاب اهداء الوفاء الذي جاء فيه:

الى الذي صمد وطهّر النفوس من الادران عام ١٩٤٩.

الذي قال: لا... ودخل السجن ليمضي فيه عشرين سنة. الى بطل السجون وباعث روحها الثوري. الذي قال للطغاة: "لن نعترف بشرعية سجننا" ويعني بهذين الحرفين الاسم المستعار "محمد راشد"

أثرنا ان نذكر الاهداء بكامله لما له من قيمة وطنية وسياسية وضرب من الوفاء لرفاق الشهيد أبو سعيد ويعلق على صدورهم اوسمة النضال الحقيقي والبطولات النادرة، لأنهم ببساطة تلامذة معلمنا الأول الخالد الشهيد يوسف سلمان يوسف "فهد".

في تمهيده للكتاب، قدم الأستاذ محمد علي الشبيبي السيرة الذاتية للمؤلف الشهيد أبو سعيد، مقدما شكره وامتنانه للأستاذ علي أبو طحين لإرساله نسخة من الكتاب البي دي اف ليشرع بإصدار الكتاب.

يسترسل الأستاذ الشبيبي في تمهيده عن تفاصيل بحثه المضنى وتقصّيه عن الكتاب، حتى تمكن من الحصول على نسخة منه كما أسلفنا أعلاه، احيل القارئ الكريم للاطلاع على تلك التفاصيل بما فيها السيرة الذاتية للشهيد عبد الجبار وهبي المولود في البصرة عام ١٩٢٠. ولذلك لضيق حيز التناول.

يقع الكتاب في ١٣٤ صفحة باستهلال من المؤلف موجه الى القارئ العربي، وهنا تتضح نية الكاتب بتخصيص هذا الكتاب وما يتضمنه من اهوال كان يتعرض لها السجناء السياسيون وتحديدا الشيوعيون منهم، ليوثق للبطش البربري الذي كانت تمارسه السلطة القمعية بقيادة واشراف نوري السعيد وبطانته المجرمة. وقبل هذا وذاك، يعتبر الكتاب وثيقة صادقة لا يطالها الشك، بحجم التضحيات الجسيمة التي تعرض لها الابطال الشيوعيون والقسوة الشديدة التي فاقت كل تصور سيتعرف عليها القارئ ويقف على اهوالها، سيما الأجيال اللاحقة والراهنة لتتعزز المواقف الوطنية التي قدمها الشيوعيون من اجل الوطن والانسان وتحقيق الشعار الخالد الذي ما انفك الشيوعيون يعتبرونه قضية وجود، إنه شعار: "وطن حر وشعب سعيد". هذا الشعار الذي اعتبره الشيوعيون بوصلتهم ومرشدهم للأهداف النبيلة التي كرسوا كل حياتهم من التضحيات الجسام من اجل تحقيقه.

آثرنا ان نستشهد بمحتويات الكتاب ليطلع القارئ الكريم عن التفاصيل التي يتناولها المؤلف ويفتح شهيته للقراءة والتي ستكون مغايرة لكل القراءات الأخرى، لأن هذا الكتاب هو سجل ثمين وتوثيق هام من تاريخ فترة مهمة من تاريخ العراق الحديث، لما يحتوى على معلومات مثيرة قد تكون غائبة عن العديد من المتابعين وحتى الأقل متابعة، لأن واعز التقصي والبحث والوقوف على تلك المحطات من تاريخ العراق لدى بعض القراء ممن لا يكلفون انفسهم البحث الجاد لمعرفة حقيقة ما وقع، لأن ذلك سيمدهم بعزيمة متقدة وفكر وايمان بقضية عادلة ستكون حتما اقوى واشد وامضى عند الوقوف عليها، سيما ان الحركة اليسارية في العراق اليوم تتعرض لتشويه وتمييع ونسف التضحيات الهائلة التي قدمها الشيوعيون والاهوال التي تعرضوا لها هم وعوائلهم، يأتي ذلك من طرف من لا يريد الخير للعراق والشعب العراقي وممن يسعى لتشويه المحطات الهامة من تاريخ العراق السياسي الذي ينبغي ان يكون مرام كل من ينتمي بنقاء ووطنية لهذا الوطن ومن يحتكم على الايادي البيضاء البعيدة عن التلوث بالتجاوز على المال العام ومشاريع النهب والفساد التي شرعنها الطارئون من السياسيين المرائين، وهم وبوقاحة وقلة احياء فاقتا كل تصور، يجندون كل أسلحتهم الرثة لإضفاء غمامة سوداء على ذلك التاريخ المشرّف للشيوعيين، الأموات منهم والاحياء، وكم كانوا وما زالوا يمارسون ذات القذارات التي تمتد لأكثر من ثمانية عقود من زمن المرارات، هدفهم الموبوء الاستزادة اكثر من نهب أموال الفقراء والمسحوقين وزيادة الجروح التي ما انفك يعاني منها هذا الوطن الذبيح منذ انقلاب شباط الأسود ١٩٦٣ وما قبل هذا التاريخ حين كان الطغاة في العهد الملكي وفي مقدمتهم نوري السعيد، اشد ما يخيفهم المد الجماهيري والغضب الوطني المشروع الذي يقوده الشيوعيون الامر الذي أدى الى توجيه أسلحتهم القذرة بشتى اشكالها لرقاب الشيوعيين وراح ضحية تلك الهجمات البربرية الاف القرابين على مذبح الحرية والانعتاق، ولا يخفى ذلك عن أي عراقي حتى الصبية الذين جاءوا بعد عقود المحن والموت والمرارات التي تعرض لها أعضاء هذا الفصيل الوطني المقدام. فلا غرو ان نلاحظ اليوم ونحن في بداية الالفية الثالثة ذات الحراب الصدئة تستهدف المناضلين الشيوعيين وكافة الوطنيين الاحرار المنادين بالدولة المدنية التي تعني خروج العراق من نفق الطائفية والمحاصصة والفساد المعلن والمختبئ، ومما يؤسف له ان هكذا تاريخ مقدس من النضالات لفصيل وطني، ما خان ولا فسد ولا طمع ولا عبث، ولا... ولا...، بل بقي بذات الايمان بقضية الشعب العادلة بالتخلص من كل تكوينات الإسلام السياسي التي عبثت حتى بالمقدسات الوطنية وحتى الدينية منها، حتى عاد العراقيون يضربون اخماسا بأسداس لما جرى ويجري، في حالة قد تكون نادرة كونيا من موت الضمائر الوطنية التي ينبغي ان تكون مشبعة بحب الوطن والتي تعتبر هي البوصلة الحقيقة للوصول بالعراق الى بر بالأمان. ولكن ما يحدث من تجاوزات من فصائل لا يمكن وصفها، تعمّق يوما بعد آخر من محنة الوطن وفواجع العراقيين.

ومن خلال محتويات الكتاب يتضح اهم المحطات التي تناولها المؤلف في هذا السفر الجحيمي الذي يوثق حجم المعاناة التي تسببت في قتل وجرح وعذابات السجناء الشيوعيين وما لاقوه من حرب حقيقية جند لها نظام نوري السعيد كل معاول الفناء ضد أوّلئك الابطال الصناديد الذين مروا بمراحل من الممارسات اللاوحشية من حرب إبادة حقيقية ظنا منه ومن زبانيته، بأنها الطريقة الوحيدة للقضاء على الشيوعيين وحركتهم التي لا يعلم او يتجاهل ذلك هو وكافة ازلامه، بأن الفكر الشيوعي تجذر في وعي وأفكار ووجدان العراقيين، لأنهم وجدوه الطريق الوحيد للخلاص من الوسائل الوحشية التي كان يمارسها النظام من تقتير واقصاء وتباين طبقي فضيع وتهميش لغالبية العراقيين وخصوصا سكنة خلف السدة ممن كانوا يمدون الدولة باليد العاملة والقوى الأمنية والجيش وعمال الخدمات والحراس الليليين والمعلمين والأساتذة وغيرها من شرائح المجتمع العراقي آنذاك والذين كانوا يشكلون الركائز الأساسية لمسيرة الاقتصاد وتسيير أمور البلد، لأن العمال والكسبة والفلاحين وأصحاب الحرف المختلفة ومنتسبي الجيش والشرطة من الوطنيين الأحرار، وبقية مكونات المجتمع العامل من المسيرين الفاعلين في تنمية البلد الذين كانوا ضحايا السياسات القمعية والهمجية الرأسمالية في حصولهم على فتات العيش ليتمتع السراق واللصوص وعملاء الخراج بكافة الامتيازات.

القادسية

ومن خلال رحلتنا المريرة مع احداث الكتاب وسعي الشهيد أبو سعيد توثيق تلك المحطات ومدى القسوة والهجمات البربرية التي كانت المسلك الوحيد والمخيف ضد احرار العراق، بمجرد ان يرضوا ما كان يريدوه البريطانيون الذي سخّروا كل إمكاناتهم لسحق القوى الحية، وما علموا لجهلهم المطبق بان حركة التاريخ لا يمكن ان يسيروها حسب اهوائهم وافعالهم التي كانت تتسم بالتوحش والبربرية والسفالة.

من خلال رحلة القراءة الشيقة والمؤلمة في ذات الوقت، وجدت كقارئ محب لهذه الشخصية اسوة ببقية المناضلات والمناضلين الشيوعيين ممن نذروا حياتهم للدفاع عن المبادئ السامية ورفعة الوطن العراقي والذود بعناد وشكيمة من اجل تحقيق العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية لكافة مسحوقي العراق وفي مقدمتهم الطبقة العاملة المناضلة، وجدت ان الكاتب وحرصا منه على توثيق أهم المحطات السياسية التي مرت بالعراق منذ تأسيس الدولة العراقية حتى ثورة تموز الخالدة، سعى على أن تكون الأجيال اللاحقة والتي تجهل الكثير من تلك المحطات الهامة والرئيسية في تاريخ العراق الحديث، أن تتبين مدى التضحيات الجسام المعمّدة بالدم والشهادة كي لا تنسى أو تتناسى أفواج القرابين المقدسة التي دونت بمداد دمها الطاهر اقدس اللحظات الفاصلة في تاريخ العراق الحديث، لكي يتفاخر بها ويتعلم منها من يأتي بعدهم من حجم الدروس البليغة، غير هيّابين أو مترددين أن يقدموا أجسادهم الطاهرة معابر منذورة للوصول الى الآمال النبيلة في الحرية والتقدم وكرامة الانسان وإزالة الغبش السياسي الذي ظل جاثما على صدورهم لعقود من زمن المحن والمكابدات وتفشي اقسى صيغ الهمجية والبربرية في مواجهة المد الجماهيري العنيد.

بإيجاز شديد ينبغي ان نذكر هنا ان الكاتب الشهيد استهل كتابه بوصف دقيق ومركّز لسجن بغداد المركزي، تحت عنوان "قلب بغداد" من حيث موقعه الجغرافي والممارسات البشعة بحق المناضلين، بما فيها ملاحقة الجرحى منهم في المستشفيات وحرمانهم من ابسط العلاجات وهم ينزفون دما، ومن ثم يعرّج في متون الكتاب الأخرى على الوصف المسهب للمنفى سيء الصيت والسمعة "نقرة السلمان" ومن ثم يعرّج على الأساليب البربرية والسادية لجلادي حكومة نوري السعيد ومن يدور في فلكها وما كانت تقوم به من تعذيب شديد القسوة والهمجية، وغيرها من لوحات مؤلمة يذكرها الكاتب، مع اعتزازه وافتخاره بما كان يبديه السجناء المناضلون من عزيمة وبأس شديدين اذهلتا الجلادين القتلة وكذا الإضرابات عن الطعام التي أدت الى وفيات عديدة وغيرها من الصور التي يقينا اذا ما اطلع الجيل الراهن عليها سيجعلها اوسمة شرف وفخر واعتزاز، ليتبين حجم المآسي التي كان يلاقيها الشيوعيون المطلق بأنهم جزء من جبهة الكفاح، جزء يجب ان يصمد ويحتفظ بقواه وثوريته وان يقاوم، مع كل المناضلين، محاولات الاستعمار واعوانه لإذلال الشعب واخضاعه واستعباده وتقديمه وقودا للحرب. وكان السجناء السياسيون على علم تام بأن شعبهم لن يتخلى عنهم إن هم لم يتخلوا عنه، فكان لهم من عطف الجماهير والرأي العام سندا عظيما بوجه السلطات الحكومية، سندا يمدهم بالقوة والثبات والعزيمة..."البواسل بعناد وصلابة عزيمة نادرتين. هكذا هم الشيوعيون في كل زمان ومكان، نهلنا منهم ومن عنادهم النادر هذه القوة في مواصلة الدرب وسنمضي وكل من يلحقنا من أجيال مدافعة بحزم عن الحقيقة، مثل هذه الدروس التي لن تُنسى أبدا.

ومن الجدير بالذكر وكإنارة على محطة مهمة مما قاساه السجناء الشيوعيون لكي نستلهم مدى العناد الأسطوري لهذه الشريحة المكافحة من اجل الحرية والكرامة والمبادئ الخيّرة، نقتطع للقارئ الكريم هذه الشهادة من الكتاب تقول: "هكذا استطاع السياسيون في نقرة السلمان اننا في هذا الكتاب إزاء احداث وقعت في اربعينيات وخمسينيات القرن الماضي فشكلت لوحة وطنية لا يمكن محوها من الذاكرة، واذا ما تمعنّا بروية، نجد ان ذات الاحداث والمرارات والنكبات ما انفكت تتكرر بشكل متواصل حتى هذا اليوم، وما زال العراقيون والحركة الوطنية تعاني بقوة من شطحات الحكام المفلسين أخلاقيا ووطنيا وانسانيا، ولا يجب ان نعتبر ما جاء في هذا الكتاب القيّم مجرد سرد لأحداث عابرة، بل هي قيم ومبادئ وإرادة مناضلة تجذّرت وبقيت تعيش بقوة في الوجدان العراقي لتظل بوصلة لكل الأحرار من اجل الانعتاق من كل أنواع العسف والهيمنة والأفكار الخبيثة التي تخبّئ تحت جلابيبها الرثة كل أنواع الخيانات والانحرافات والسقوط الأخلاقي. ان يقاوموا عوامل الخمول والحزن واليأس والمرض وان ينتصروا عليها. ان ما ابقاهم احياء في نقرة السلمان هو فكرهم النير وارادتهم الفولاذية الواعية واعتقادهم.

تحية للرعيل الأول من المناضلين الشيوعيين الأفذاذ وتحية لمدون هذه المحطات البليغة العبر والدروس، الشهيد الخالد عبد الجبار وهبي (أبو سعيد).

شهيد الصحافة العراقية.. عبد الجبار وهبي (أبو سعيد)

نبيل عبد الأمير الربيعي

اتحاد الشعب
من بركات الحلف الامريكي
الرأي تسير سياسة الجمهورية العربية المتحدة؟!

لقد اتسم الصحفي الناقد والساخر عبد الجبار وهبي بالدور الريادي بكتاباته وتعليقاته كسلاح يرفعهُ بوجه المسؤولين والمتنفذين، بسبب تفشي الظواهر السلبية التي يعاني منها المجتمع العراقي، وقد ساهمت مقالاته في جريدة (إتحاد الشعب) جريدة الحزب الشيوعي العراقي المركزية، في التصدي لكل ما هو فاسد بأسلوب جريء ، فكان أحد الصحفيين الذين لهم الدور المهم كرقيب شعبي لرصد الأخطاء وفضح الفساد والفاسدين، كما كان للصحفي والروائي شمران الياسري (أبو كاطع) نفس الدور الذي قام به الشهيد أبو سعيد في الصحافة اليسارية العراقية فترة السبعينات من القرن الماضي.

ولد الشهيد عبد الجبار وهبي (أبو سعيد) في مدينة البصرة محلة المشراق عام ١٩٢٠، فقد أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مسقط رأسه، وقد حصل على معدلات أهلتهُ لبعثة دراسية إلى إنكلترا، لكن ظروف الحرب العالمية الثانية أحالت إلى توقف هذه الدراسة ، فقد أرسل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت لإكمال دراسته العالية في فرع الفيزياء، وبعد تخرجه عاد إلى العراق وعُين مدرساً للفيزياء في إعدادية بعقوبة ثم أستاذاً في كلية الملك فيصل حتى قيام وثبة كانون الثاني عام ١٩٤٨ فقد أغلقت هذه الكلية بسبب انتماء أغلب طلابها للحزب الشيوعي العراقي ومشاركتهم في المظاهرات الطلابية، إذ كانت وزارة المعارف وقتذاك تختار الطلبة المتفوقين بعد تخرجهم من الدراسة الابتدائية لإرسالهم لإكمال دراستهم في كلية الملك فيصل الأول.

كان للراحل أبو سعيد الرغبة بعد تخرجه من الجامعة الأمريكية على دراسة الفلسفة، فانكب على دراسة فلسفة سقراط، وفي عام ١٩٤٦ أنغمر في العمل السياسي وكان أحد أعضاء مؤسسي حزب الشعب ومن العناصر المهمة في تحرير جريدة حزب الوطن)، ثم بعد فترة من العمل السياسي انظم لصفوف الحزب الشيوعي العراقي، وبسبب توجهات حكومة نوري السعيد لمطاردة العناصر الوطنية بسبب استمرار التظاهرات وزيادة الوعي الوطني للطلبة ولرفضها معاهدة (بورتسموث) ، فوجهت السلطة الملكية ضربة للحركة الوطنية ولتنظيمات الحزب الشيوعي العراقي وكوادره، فاعتقل الصحفي (أبو سعيد) لأول مرة عام ١٩٥١ مع مجموعة من المناضلين، واستمرت الملاحقات مرة تلو الأخرى ومنها اعتقاله لمساهمته بتشييع جنازة (نعمان محمد صالح).

عام ١٩٥٢ وبسبب نشاط الشهيد (أبو سعيد) في حركة السلم والتضامن وإصداره كتاباً بعنوان (السلام العالمي)، ودوره في انتفاضة تشرين عام ١٩٥٢ ، فقد أصدر المجلس العرفي الحكم الغيابي بحقه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، فما كان منهُ إلا مغادرة البلاد بجواز سفر مزور، إذ ذكرت ابنته (نادية) – أنوار عبد الوهاب)في مقال لها في مجلة الثقافة الجديدة العدد (٣٤٠-٣٤١) " بعنوان محطات في سيرة أب بطل ورمز "، إذ ذكرت (حصل أبي على جواز سفر باسم الحاج محسن عبد، وقرر اصطحابنا معهُ أنا وأخي سعد، وأما أمي نظيمة وهبي ، فقد كانت سجينة في سجن النساء في بغداد تقضي ما تبقى من محكوميتها بسبب مشاركتها في نضالات الشعب ضد الحكومة الرجعية)، لكن المناضل نظيمة وهبي تذكر في مقال لها في مجلة الفكر الجديد لعام ١٩٧٨ إنها سجنت بسبب (إصدار كراس " أغاني السلم والحرية")، فقد اتجه (أبو سعيد) بقطار الموصل لعبور الأراضي العراقية إلى دولة سوريا الشقيقة ، كان يرغب بالعمل في مجال الصحافة ونشر مقالاته في الصحف السورية، لكن هذه الرغبة لم تتحقق بسبب القيود المفروضة على حرية الصحافة و النشر، مما قرر الاستقرار في بيروت والانخراط في العمل السري والاعتكاف لانجاز كراسه (أعماق السجون في العراق) عام ١٩٥٥ ،وقد تمكن من طبعه في بيروت و صدر باسم (محمد أرشد) ، وقد تم توزيعه في العالم العربي، كما شارك الشهيد (أبو سعيد وطفليه نادية وسعد) في مهرجان السلم والصداقة و التضامن المنعقد في وارشو، إذ تجمعت الشبيبة والطلبة المحبة للسلام ، وقد تمكن الشهيد من ترجمة كراسه إلى اللغة الانكليزية لإطلاع أعضاء الوفود المشاركة على واقع حال حكومة بغداد الملكية ودورها في قمع العناصر والقوى الوطنية وانتهاكها لحقوق الإنسان.

بعد عام ١٩٥٥ تم إطلاق سراح زوجتهُ (نظيمة وهبي) بعد انتهاء مدة السجن وقد التحقت بزوجها أبو سعيد في بيروت والتأم الشمل ثم الانتقال إلى سوريا للعمل في مجال التعليم في دير الزور ، ومن هذا الموقع تمكن الشهيد من تقديم الخدمات للحزب في مجال استقبال القادمين والعائدين للوطن وتسهيل مهماتهم في الخارج.

فقد شارك في مؤتمر نزع السلاح والتعاون الدولي الذي يعقد في العاصمة السويدية ستوكهولهم في ١٦ تموز ١٩٥٨ برفقة الشهيد صفاء الحافظ والشاعر كاظم جواد وآخرين، وبعد قيام ثورة تموز عام١٩٥٨ عادوا للعراق، وعمل الشهيد (أبو سعيد) في جريدة (إتحاد الشعب) الجريدة المركزية للحزب الشيوعي العراقي وكان أحد أعضاء هيئة التحرير وتناول بمقالاته الحيوية الساخرة بعموده اليومي (كلمة اليوم) لما يخص معاناة ومشاكل المواطنين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكان عمله الدؤوب والمستمر حتى ساعة إغلاقها وتعرض كوادر الحزب إلى المضايقات والاعتقالات، فتم اعتقال الشهيد (أبو سعيد) وإيداعه سجن الرمادي ثم نقله إلى سجن بغداد المركزي، وكانت فترة الاعتقال أكثر من شهرين ثم أطلق سراحه ونقل للعمل في مجال التعليم خارج بغداد.

كانت مقالاته في جريدة اتحاد الشعب متميزة لنقل معاناة الناس دون حواجز فقد نشر الكثير منها بعنوان (كان أمس) التي تحكي معاناة عوائل أطفال الفقراء يقارنهم بأبناء المترفين، ومقال بعنوان (تدور الدنيا ويا ليتها تدور على غصن زيتون) يحارب بهذا المقال العادات والتقاليد التي تخصص دورة السنة على بعض الحيوانات قد تكون أليفة أو مفترسة أو غادرة، وهي عادات بابلية قديمة ، وكان يتمنى أن تدور على غصن زيتون ليحل السلام والوئام أرض وشعب العراق و كان هذا أمل وحب الشهيد للفقراء والمحرومين والمضطهدين كونه واحد من أبناء هذا الشعب الذي وهبّ حياته للدفاع عن قضيتهم وقضية حزب الطبقة العاملة والفلاحين والمحرومين، ذلك الشهيد عبد الجبار وهبي كاتب المقالات اليومية الذياستقطب اهتمام قراءه من شتى الاتجاهات فقد كانت قراءة جريدة (اتحاد الشعب)تبدأ من الصفحة الأخيرة بعمودهُ اليومي (كلمة اليوم) و بعض مقالاته إذ يسخر شرطة التحقيقات الجنائية وحملة الاعتقالات بصفوف كوادر الحزب الشيوعي العراقي تحت عنوان (اسأل الشرطة ماذا تريد وطنٌ حر ونوري سعيد) فكانت مقالاته أشد من الرصاص بوجه النظام، يُقال عندما سئل الزعيم عبد الكريم قاسم عن عبد الجبار وهبي ومقالاته اللاذعة أجاب (رصاص رأس القرية ولا مقالات عبد الجبار وهبي) ويقصد محاولة اغتياله في منطقة رأس القرية في شارع الرشيد، لكن عملاء وجلادي الشعب كانوا لهُ بالمرصاد ليطفئوا الحلم الذي كان يحلم به ذلك الصحفي والإنسان المبدع، وبعد انقلاب شباط الأسود عام١٩٦٣ كانت كلابهم من الحرس القومي وعملائهم تتربص أبو سعيد المختفي ورفاقه، ففي أحد أيام شهر حزيران من نفس العام سقط أبو سعيد ورفاقه (جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي) بيد أعوان عناصر الانقلاب من الحرس القومي، فعذبوا بشده حتى الاستشهاد، ويذكر د. حسان عاكف بمقالة في مجلة الثقافة الجديدة (عبد الجبار وهبي.. سيرة مناضل مثال) " وفي شهادة لأحد المعتقلين في قصر النهاية والدكتور فؤاد بابان قال (كنت معتقلاً في قصر النهاية فرأيت (أبو سعيد) مقطوعة إحدى رجليه حيث نشرت بآلة قطع وكان بجانبه شخص آخر لديه يد واحدة) هذا أسلوب قتلة أحلام الشرفاء ومحبي شمس الحرية، عندما غيّب البعثيون جسده لم يكن يتجاوز عمره الرابعة والأربعين، لكن نقول لك أيها الغائب الحاضر تبقى في ذاكرتنا لأني مؤمن بأن ذكراك لم تنسى ولم ينساها رفاقك ومن سار على دربك، إذ تتجدد ذكراك وذكرى

عبد الجبار وهبي.. سيرة مناضل مثال

د. حسان عاكف

منذ عام ١٩٦٣،عام استشهاده، وكلما ذكر اسمه أمامي أو قرأت شيئا له او عنه، يتملكني شعور أت من صدى زمن بعيد و تملؤني عاطفة عميقة مشوبة بكثير من الحزن و قليل من التباهي، انه الشهيد عبد الجبار وهبي "ابو سعيد". و لم يقتصر الامر على ذلك فقط بل كنت اتذكره بقامته التي تميل الى القصر قليلا و نظارته الطبية و مشيته الهادئة الواثقة في واحد من شوارع منطقة راغبة خاتون في بغداد كلما سمعت ابنته الفنانة انوار وهي تردد:

"عد وآنه اعد و نشوف ياهو اكثر هموم من عمري سبع سنين و اكليبي مهموم".

عام ١٩٥٩، ويومها كنت طفلا في التاسعة من عمري، كنا نتباهى في بيتنا لان ابو سعيد كان جارا لنا في منطقة راغبة خاتون. كنت انظر اليه باحترام كبير موشى بهالة من المهابة وشيء من القداسة، لاني عرفت انه كان سياسيا مطاردا خارج الوطن ابان الحكم الملكي، وانه مثل الكثير من الذين تضمهم وتعرفهم عائلتنا من الناشطين في الدفاع عن الجمهورية الفتية.

انتقلنا من راغبة خاتون وانتقل معنا اسم ابو سعيد وظل طيفه يلازمني حتى اللحظة مع سجله الإنساني المشرق، مثلما ستظل ذكراه ك "سيرة رجل شجاع" محفورة في وجدان شعبه، وملازمة لذاكرة الاجيال القادمة.

بعد انقلاب ٨ شباط الاسود خلد الجواهري الكبير استشهاد ابو سعيد في قصيدته الرائعة "سلاما " الى جانب رفاقه الشجعان سلام عادل والحيدري و ابو العيس وعبد الرحيم شريف (ابو رائد) و الشهداء الميامين الآخرين:

حماة الحمى و الليالي تعودُ
وخلف الشتاء ربيع جديدُ
سيورق غصن ويخضر عودُ
ويستنهض الجيل منكم عميدُ
سيقدمه رائد اذ يرودُ
ويخلف فيه اباه سعيدُ
وسافرة سترب النسورا

توفي ابا العيسَ فيهم نذورا

كتب الشهيد الدكتور صفاء الحافظ عن مطاردة السلطة الملكية لـ (ابو سعيد) واضطراره للهرب والاغتراب في سوريا مع رفيقة دربه المناضلة نظيمة وهبي، وتنقلهم بين دمشق وبيروت ودير الزور.

ومما ذكره الشهيد الحافظ ان ابو سعيد كان معجبا بالصحفي اللبناني "امين الاعور" الذي قال عنه ان " قلمه جارح، يحلل المعاني ويضع يده على تعابير جميلة". كان أمين الأعور يكتب في جريدة الإخبار جريدة الحزب الشيوعي اللبناني آنذاك، وقال ابو سعيد مرة (بودي لو أزاول هذا اللون من الكتابة القصيرة المعبرة كتابة نحن في أمس الحاجة اليها في العراق). وقد حقق ابو سعيد امنيته بعد عودته إلى العراق غداة انتصار ثورة الرابع عشر من تموز، من خلال عموده الشهير في جريدة "اتحاد الشعب" الذي أصبح محط إعجاب وانبهار عشرات لا بل مئات الألوف من قرائه.

في بطاقته الشخصية نقرأ ان "ابو سعيد" كان عضوا في نقابة الصحفيين وعضوا في اتحاد الأدباء إلى جانب عضويته في نقابة المعلمين وفي حركة السلم العراقية، مما يدلل ان المناضل المثال كرس حياته كلها في العمل والنضال من اجل قضية اجتماعية عامة، وكونه رجل لم يترك دقيقة واحدة من وقته دون ان يقدم شيئا لشعبه ووطنه.

لم اقرأ لصحفي تتلمذ في مدرسة" اتحاد الشعب" في ستينيات القرن الماضي او أسمع منه وهو يتحدث عن تجربته الصحفية في تلك المدرسة، الا و يشير الى ابو سعيد وزميليه عبد الرحيم شريف وعدنان البراك وتاثره بهم، صحفيين ومثقفين ومناضلين، وقبل هذا وذاك اناس مشبعين بالتواضع والمرح وبروح عطاء لا ينضب وحب غير محدود لبلدهم وشعبهم، خصوصا فقرائه وكادحيه ومهمشيه. فليس صدفة اذن ان الثلاثة كانوا ضمن موكب واحد من مواكب شهداء الحزب الشيوعي.

الصحفي والروائي الراحل ابو كاطع (شمران الياسري) اشار في لقاءات ومناسبات عدة الى تاثره باسلوب ابو سعيد السلس والبلاغ الساخر في الكتابة، آخرون وصفوا هذا الاسلوب بالسهل الممتنع.

كثيرة هي الاهازيج التي رددتها الجماهير بعد انتصار ثورة الرابع عشر من تموز، احدها الاهزوجة الشهيرة (اسأل الشعب ماذا يريد وطن حر وشعب سعيد). وحين حدث الخلاف بين الشيوعيين وعبد الكريم قاسم وبدأت الاعتقالات والمطاردة للعناصر الوطنية والديمقراطية واعضاء الحزب الشيوعي على وجه الخصوص من جانب شرطة النظام ومخبريه و"المجلس العرفي لشمس الدين عبد الله"، وظف ابو سعيد هذه الاهزوجة في عشرة الشهير في جريدة "اتحاد الشعب" في مقال ظل عنوانه يتردد لفترات طويلة لاحقة:

(اسأل الشرطة ماذا تريد عبد الآله ونوري السعيد)، اشارة الى تلك الملاحقات والاعتقالات وللتحذير من الارتداد الذي بدأ يلوح في مواقف قاسم وسياسة حكمه.

في كتابه (العراق الببرية المسلحة) يذكر الكاتب والباحث علي كريم سعيد الظروف التي مر بها الشهيد ابو سعيد في المعتقل: فيقول)اعتقل عبد الجبار وهبي مع رفيقه جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي حيث تعرضوا الى تعذيب شرس في قصر النهاية يصفه الضابط محمد علي سباهي الذي كان عضوا بارزا في حزب البعث وتركه قبل ٨ شباط: في عام ١٩٦٣ زرت عمار علوش في قصر النهاية وكان مشرفا على التحقيقات فرأيت عنده عبد الكريم الشيخلي – وزير الخارجية بعد انقلاب ١٩٦٨ – وايوب وهبي وخالد طبره وهناك فجأة رأيت الصحفي عبد الجبار وهبي ممدا على الارض وكان على وشك الموت يطلب الماء فيجيبه خالد طبرة (ها كواد تريد مني ماي(!!.

وفي شهادة اخرى كتب الدكتور فؤاد بابان: كنت معتقلاً في قصر النهاية فرأيت عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) مقطوعة احدى رجليه حيث نشرت بآلة قطع حادة وكان الى جانبه شخص آخر لديه يد واحدة.

رغم هذه العتمة الموحشة، وكلما حاولت تذكر ابن البصرة الشماء، مدرس الفيزياء الشيوعي، الصحفي اللامع والرجل المثال ابو سعيد وهو بين أيدي جلاديه تجدني اتخيله حاملا جراحه ساخرا هازءا منهم وهو يترنم بالاغنية التي كتب كلماتها ابن فلسطين الارض المحتلة سميح القاسم وصدح بالحانها فنان لبنان الحرب الاهلية مارسيل خليفة بعد سنوات من استشهاد ابو سعيد:

منتصب القامة أمشي
مرفوع الهامة أمشي
في كفي قصفة زيتون
وعلى كتفي نعشي

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:
www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net
طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

الأستاذ والصحفي والمناضل أبو سعيد

محمد حسين النجفي

سمعنا البعثيين يتحدثون فيما بينهم، من ان استاذاً جديداً سيدرسنا المواد العلمية للصف الثالث المتوسط في المتوسطة الشرقية في الكرادة الشرقية. كان ذلك في بداية النصف الثاني من العام الدراسي ١٩٦٢/١٩٦١، قالوا إن اسمه عبد الجبار وهبي، وهو شيوعي قيادي، وسوف يستهزؤون به ويسخرون منه اثناء المحاضرات وخارج الصف. من هو عبد الجبار وهبي! لم نعلم بشخص بهذا الاسم. جاء زميلنا مناضل فاضل عباس المهداوي في اليوم الثاني بالخبر اليقين، وقال انه "أبو سعيد"! الكل يعرف أبو سعيد، وكان عمرنا آن ذاك ثلاث أو أربع عشرة سنة، إلا أننا كنا نقرأ الكتب والمجلات والصحف وخاصة صحيفة "أتحاد الشعب" وأول ما نقرأه فيها هو عمود "كلمة اليوم" في الصفحة الثامنة وهي آخر صفحة، الذي يحلل فيه الصحفي الساخر والذي يكتب مقاله على شكل "حدوته" يحاكي فيها مشكلة او معاناة او آفة اجتماعية او تقاليد بالية او نقدا سياسيا بدون مجاملة، بأسلوب سلس ولاذع وممتع في آن واحد وتحت اسم مستعار "أبو سعيد".

أُغلقتْ صحيفة "اتحاد الشعب" في آذار من عام ١٩٦٠، أعقبها اعتقال رئيس التحرير عبد القادر اسماعيل البستاني واعتقال عبد الجبار وهبي (أبو سعيد) ثم إبعاده إلى مدينة الرمادي تحت الإقامة الجبريَّة. وبعد انتهاء محكوميته، نُسب إلى مدرستنا، المتوسطة الشرقية لتدريس العلوم لأنه اصلاً من الطلاب المتفوقين الذي حصل على بعثة للحصول على بكالوريوس علوم من الجامعة الامريكية في بيروت.

كُنت في ذلك العام الدراسي في أوج نشاطي السياسي، لذا كنت راسباً في ثلاث مواد علمية، وبالتالي سوف لن يسمح لي بدخول امتحان بكلوريا الثالث متوسط، إلا أن قدوم أبو سعيد الصحفي الذي كنا نقرأ عموده كل يوم، غير المقاييس كلها، فكيف لي أن أكون كسولاً واستاذي أبو سعيد! فمثلما هيأ البعثيون أنفسهم لاستفزاز الأستاذ عبد الجبار وهبي، تهيأنا أنا ومناضل وآخرون للوقوف بوجههم ولصد استفزازاتهم الوقحة.

وأخيراً جاء اليوم الأول لحضور الأستاذ عبد الجبار وهبي إلى الصف بعد انتظار مقلق. كان مشهداً لا يوصف، أستاذ في منتهى الهندام، أنيق دون مبالغة، لا تسمع أصوات خطواته لكياستها، قصير القامة نحيف البدن ذو رأس مُثلث كبير الحجم نسبياً، تملأ وجهه نظارات طبية مبالغ في حجمها. دخل الصف من وسطه وكأنه ملاكٌ ذو سطوة ساحرة، دخل في الدرس مباشرة وإذا بمادة العلوم الجافة تتحول بالطريقة التي يشرحها لنا كأنها حكاية، نستمع اليها بشغف وخشوع وكأننا في كنيسة نستمع فيها إلى تراتيل كاثوليكية باللغة اللاتينية في الفاتيكان، الصف كله آذان صاغية له.

لم يجرؤ أحد مهما كانت وقاحته أن يكسر حاجز الوقار الذي يملكه هذا الإنسان الذي بدا لنا في حينه أنه من غير كوكبنا. أُعتقل في العهد الملكي والعهد القاسمي، واعتقل بعد حركة ٨ شباط ١٩٦٣ الدموية، وعُذِّبَ وقُطِّعَ جسدُهُ في قصر النهاية وهو حيٌّ، وأعلن عن استشهاده مع رفاقه محمد صالح العبلي وجمال الحيدري في ١٩ تموز ١٩٦٣.

نم قرير العين استاذي، فبعد واحد وستين عاماً على رحيلك مازلنا كما تركتنا، نناضل بلا هوادة، نُضطهدُ بلا ملل او كلل، وما زلنا مخلصين لأفكارنا، ومعذرة منك ومن كل الشهداء لأننا، لم نُحاسب مُعذبيكم ولم نشتك عليهم في المحاكم المحلية او المحافل الدولية، أو في دواوين العشائر. هُدر دمكم وسُلب مالكم تحت أعين أنظار أعيان القوم ورؤساء العشائر، ولكننا ما زلنا نغني للوطن أنشودة حب أبدي و ما زلنا نستذكركم بيننا، نحن بقايا زمن النضال المشرف.

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون